هيهات بل طلب العلم فريضة على كل مسلم ولهذا كانت ركعتان من عالم افضل من الف
ركعة من غير عالم لانه يعلم افات النفوس ومكايد الشيطان ومواضع الغرور فيتقيه والجاهل
لا يعرفه فكيف يحترز عنه فلا يزال الجاهل في تعب والشيطان منه في فرح وشماتة فنعوذ بالله
من الجهل والغفلة فانه راس كل شقاوة واساس كل خسران فحكم الله على كل عبد ان يراقب
نفسه عند همه بالفعل وسعيه بالجارحة فيتوقف عند الهم والسعي حتى ينكشف له بنور
العلم انه لله فيمضيه او هو بهوى النفس فيتقيه ويزجر القلب عن الفكر فيه وعن
الهم به فان الخطرة الاولى في الباطل اذا لم تدفع اورثت الرغبة والرغبة تورث
الهم والهم يورث جزم القصد والقصد يورث الفعل والفعل يورث البوار والمقت
فينبغي ان يحسم مادة الشر من منبعه الاول وهو الخاطر فان جميع ما وراءه يتبعه
ومهما اشكل على العبد ذلك واظلمت الواقعة فلم ينكشف له فيتفكر فيه بنور العلم ويستعيذ
بالله من مكر الشيطان بواسطة الهوى فان عجز عن الاجتهاد والفكر بنفسه فيستضيء بنور
علماء الدين وليفر من العلماء المقبلين على الدنيا فراره من الشيطان بل اشد من ذلك فقد
اوحى الله الى داود لا تسأل عني عالما اسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبتي اولئك
قطاع طريق على عبادي فالقلوب المظلمة بحب الدنيا وشدة الشره والتكالب عليها محجوبة
عن نور الله فان مستضيء انوار القلوب حضرة الربوبية فكيف يستضيء بها من استدبرها
واقبل على عدوها وعشق ضدها وهي شهوات الدنيا فليكن همة المريد حرصه اولا
في احكام العلم او في طلب عالم معرض عن الدنيا او ضعيف الرغبة فيها ان لم يجد من عدم
الرغبة فيها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات
والعقل الكامل عند هجوم الشهوات جمع بين امرين وهما متلازمان حقا فمن ليس له عقل

عقل وازع عن الشهوات فليس له بصر ناقد في الشبهات ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا فما قدر العقل الضعيف الذي يسلب الادمي
به حتى تعذر المحو ومحقه بمقارفة الذنوب ومعرفة آفات الاعمال قد اندرست منذ
الاعصار فان التابعين كلهم قد هجروا اهم العلوم واشتغلوا بالتوسط بين الخلق في
الخصومات الثائرة من اتباع الشهوات وقالوا ان هو الفقه واخرجوا هذا العلم الذي
هو فقه الدين عن جملة العلوم وتجردوا للفقه الدنيوي الذي ليس يقصد به الا دفع الشواغل
عن القلوب ليتفرغ بها لفقه الدين وكان فقه الدنيا من الدين بواسطة هذا الفقه فان قلت
فلم الحقت الفقه بعلم الدنيا والحقت الفقهاء بعلماء الدنيا فاعلم ان الله تعالى اخرج ادم من
التراب واخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق فاخرجهم من الاصلاب الى الارحام و
منها الى الدنيا ثم الى القبر ثم الى العرض ثم الى الجنة او الى النار فهذا مبدؤهم وهذا غايتهم
وهذه منازلهم وخلق الدنيا زادا للمعاد ليتناول منها ما يصلح للتزود فلو تناولوها بالعدل
انقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات
فمست الحاجة الى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان الى قانون يسوسهم به فالفقيه هو
العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق اذا تنازعوا بحكم الشهوات وكان الفقيه
معلم السلطان ومرشده الى طريق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامتهم امورهم في
الدنيا ولعمري انه متعلق ايضا بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فان الدنيا مزرعة
الاخرة ولا يتم الدين الا بالدنيا والملك والدين توأمان والدين اصل والسلطان حارس
وما لا اصل له فمهدوم وما لا حارس له فضائع ولا يتم الملك والضبط الا بالسلطان و
طريق الضبط في فصل الخصومات بالفقه وكما ان سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم

Copyright © King Saud University